الفصحى واللهجات
"قراءة جديدة ومُلاحظات"

الدكتور محمود عبد المولى - تونس

علاقة الفصحى باللهجات :

هناك لهجات خاصة والسنة عالمونات كثيرا ما تسمى خطأ في الأدب بلغات . فيقال : لغة الفلاحين ، ولغة البورجوازيين ، ولغة الطلبة ، ولغة العمال ، ولغة الأميين ، واللغة التونسية ، واللغة الجزائرية، واللغة المصرية ، واللغة اللبنانية ، الخ ...

فكل لغة حضارة مكتوبة-ومنها اللغة العربية- تمتاز بشيئين أساسيين :

1) مضمون أساسي وجوهري لقاموس ، وفيه كلمات وتعابير ...

2) نظام «غراماطيقي» خاص بها ، أي نظام بناء الكلمات وتراكيب العبارات والنحو والصرف ..

أما العاميات واللهجات المحلية والقطرية ، فليست بلغات ذلك أن بعض المفردات فيها عربية الأصل ، والبعض الآخر لايمت الى اللغة العربية بصلة.فاللهجات العربية ترجع كلها الى اللغة العربية، وهي اللغة الام . أما الألسن واللهجات الخاصة فهي تفرعات منها وتابعة لها كالفروع للشجرة الواحدة .

فاللغة العربية هي بحق لغة ، لان لها قاموسا ونظاما « غراماطيقيا» . أما لهجاتنا فهي متعددة كاشد ما يكون التعدد،ومختلفة كاشد ما يكون الاختلاف ، الى درجة يستحيل دراستها ورصدها عدّا لاختلافها في القطر الواحد، وفي المدينة الواحدة وفي بعض الأحيان تختلف من عربي (فرد) الى آخر . لقد شرحنا هذا الراي مرات في تونس وخاصة في النقاش الذي دار بنادي ابي القاسم الشابي بتاريخ 1970/2/13 (حول الانتاج الادبي وسلامة اللغة تحت اشراف وزير الشؤون الثقافية) .

وقد اكد اخصائيون عديدون (1) في علم اللغة : **ان اللهجات ليست بلغات ولايجوز علميا تسميتها بلغات ؛ لانها فقدت النظام «الغراماطيقي» والقاموس الاساسي اللذين تستعيرهما من اللغة الام ، وهي راكدة خاملة لاتنتشر الا في دائرة ضيقة ولا تصلح لتكون وسيلة اتصال بين الناس في المجتمع الواحد .**

ان مشكلة الازدواجية اللغوية فيما يتعلق بالفصحى واللهجات ، هي من المشاكل التي ينظر اليها الناس اليوم في المغرب العربي بشيء كثير من الاهتمام مع انها ليست حديثة العهد عند العرب (2) .

فاللهجات — كما هو معلوم — ليست جديدة على العربية ، فقد كان للعرب في حياتهم الجاهلية لهجات عمت فيها عوامل التقريب قبل الاسلام ، حتى

---

1) ماركسيون وغير ماركسيين — راجع :
في عالم اللغة [دار القلم ، مكتبة المطبوعات الشعبية ، دمشق — بيروت 1954م].

2) انظر مقالة للحمزاوي (بالفرنسية) :
La langue arabe est-elle un luxe?
[Jeune Afrique (306), 20-11-1966]

انشئت منها تلك اللغة الادبية الفصيحة المشتركة التى نشرها الاسلام وكتابه العربى المبين .

ويؤكد الاستاذ **محمد خلف الله احمد** فى بحث له **«حول مستقبل الفصحى»** ان القرآن قد اعطى للغة العربية شخصيتها السوية الخالدة ووجودها العالمى الواسع ، وان كانت قد بقيت من لهجات الجاهلية آثار نصادفها هنا وهناك ، فى بعض نصوص الأدب القديم وكتب التراث ، كما نلمسها الى اليوم فى بعض العادات اللغوية للمتكلمين باللسان العربى . غير ان حياة المجتمع الاسلامى ، منذ القرن الهجرى الاول ، شهدت بواكير لهجات محلية دارجة يشيع فيها اللحن والانحراف عن سنن الفصحى، وكان ظهور تلك اللهجات من العوامل التى بعثت علماء العربية فى القرون الاسلاميةالاولى، على القيام بحركتهم فى جمع اللغة وتنقية الفصحى والمحافظة على سلامتها (3) .

اذن لقد عرفت العامية حتى فى العصر الجاهلى والعصر الاموي فضلا عن العصر العباسى ، كما انتشرت كل الانتشار فى الاندلس ايضا . ومع ذلك لم تؤثر فى اللغة الفصحى ، ولم تطرح مشكلة عويصة على الناطقين باللغة الصحيحة والكاتبين بها . فلقد كان الادب الشعبى ، كالازجال ينظم بالعامية ، وكان الشعر والنثر الفنى يصنعان باللغة الفصحى . وتعود العرب فى ذلك العهد البعيد ، إن يتكلموا بلغة ، ويكتبوا بلغة دون انيضيقوا بذلك ذرعا. اما اليوم فان العامية اخذت تتهذب وترتفع تدريجيا على السنة الناس بتفضل التثقيف والصحافة والاذاعة والتلفزة وغيرها . فلغة الصحافة والاذاعة هى كما وصفها الكاتب العربى اللسان ، والمسيحى الدين **بطرس البستانى «الحلقة الوسطى التى انحدرت اليها اللغة العربية الفصحى ، وارتفعت اليها العامية المنحطة ، فخففت كثيرا من مشكلة ازدواجية اللغة »** (4) .

مواقف واتجاهات في الفصحى واللهجات :

1) ومهما يكن من امر ، فان قضية الفصحى واللهجات تتطلب منا مزيدا من العناية والمراجعة للمواقف السابقة والحلول التى اقترحت وربط ذلك كله بما جد من تطور فى العصر الحديث ، كى يقع تحديد مستقبل الفصحى وموقفها من اللهجات . ويقول الاستاذ **محمد خلف الله احمد** ، فى هذا الموضوع : « كان يمكن ان تستمر الحال فى العصر الحديث ، على ما كانت عليه من ازدواج بين الفصحى واللهجات العامية لولا ان الموقف تغير وان عوامل اجتماعية وثقافية وقومية جدت عليه فحولته الى نضال حاولت فيه اللهجات — ولاتزال تحاول — ان تكسب لنفسها ميادين جديدة وان تنتقص الفصحى من اطرافها بل ذهب بعض انصار اللهجات ، فى مرحلة ما ، الى تحدى الفصحى والمناداة باحلال العامية محلها لا فى الحياة اليومية والآداب الشعبية فحسب ، ولكن فى نواح من الآداب المكتوبة ايضا . ففى الثلث الاخير من القرن الماضى ، ارتفعت ، فى بعض جنبات الوطن العربى ، دعوة اجنبية المصدر ، تصم الفصحى بالعي، وتتهمها بالقصور والجمود وتنسب اليها ما اصاب الشعوب العربية من تخلف ، وتوسوس للعرب باصطناع السنتهم المحلية لغات قومية لهم فيما يكتبون ويؤلفون ويسجلون، من علومهم وآدابهم وسائر نشاطهم الفكري . وترددت اصداء هذه الدعوة فى بعض مؤتمرات المستشرقين الدولية »،امام هذا الوضع، وتجاه هذه التحديات المسمومة ، من الانصاف ان نقرر ان المصلحين العرب من جانبهم لم يؤلوا جهدا فى التنبيه الى ما خلفته عصور الركود والانحطاط فى الفصحى وآدابها من رواسب الضعف والسطحية والزخرفة المسرفة والبعد عن واقع الحياة بالاضافة الى « **التعقيد والالتواء**

---

3) **مستقبل الفصحى** : [ص : 108 — 133 فى مجلة معهد البحوث والدراسات العربية . العدد الاول ، مارس 1969] ص : 110 و 111 .

4) عن الحديث الذي اجريته مع الاستاذ بطرس البستانى ، ببيروت [العمل التونسية بتاريخ 1962/6/18].

في تدريس قواعد العربية واساليب انشائها ، ولم يؤلوا جهدا ايضا في التزام اليسر والوضوح في استخدام الفاظها والتقريب بينها وبين متطلبات مدارك الناس ومالوف تعبيرهم والعمل على تنمية قاموسها وتحسين طرائق تعليمها وتعلمها وربطها بمتطلبات حياة العصر الحديث وحضارته .» (5) ولذلك لقد بذلت جهود — وما تزال تبذل — لتحقيق الكثير من التطوير والاصلاح في حياة اللغة . ومن العدل ان ننوه بجهود مجمع اللغة العربية والمجامع العلمية العربية وجهود الافراد والهيئات ، ومعاهد العلم التي قد قطعت اشواطا بعيدة في اغناء القاموسين العلمي والحضاري للغة الضاد وفي تيسير قواعدها وكتابتها وتصنيف المعاجم الحديثة ومن الملاحظ ايضا ان اصوات الدعاة في المشرق العربي ، الى احلال العامية محل الفصحى قد خفتت في السنين الاخيرة ، بينما بدأت ترتفع هنا وهناك في ارجاء المغرب العربي اصوات دعاة آخرين . ان التقارب بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية هو الكفيل بكبت هذه الاصوات الداعية الى تبني العامية في كل شيء حتى في التدريس الابتدائي والثانوي والجامعي . ان تعميم التعليم ، وازدياد الجمهور القارىء ، وتطور وسائل الاعلام ، وتعدد فرص اللقاء والاحتكاك ، والعمل القومي المشترك بين المثقفين والجماهير ، كل هذه الامور الى جانب الجهود السابقة ، كفيلة بتذويب الفروق بين اللغة الفصيحة ولهجاتها ، وهو وحده العلاج لمشكلة ازدواجية الفصحى واللهجات في الوطن العربي .

2) ويعتبر الاستاذ **امين الخولي** — وهو من اوائل من اهتم بهذه المشكلة في كتابه : « **محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية**» حيث كلف من طرف معهد البحوث والدراسات العربية العالية بالقاهرة ، بدراسة مشكلات حياتنا اللغوية — ان مشكلة الازدواج اللغوي ، بالنسبة للمجتمعات التي تتكلم العربية « **ابعد مشكلاتها غورا ، واعنفها اثرا لانها تصيب هذه الامم العربية جميعا بظاهرة الازدواج اللغوي التي تجعلها تحيا وتشعر وتتعامل وتتواصل بلغة مرنة يومية نامية متطورة مطاوعة ثم هي تتعلم وتتدين وتحكم بلغة مكتوبة محدودة غير امية لاتطوع بها الالسنة ـ وتتعثر فيها الاقلام** » (6) . ويعتبر الاستاذ **امين الخولي** ان هذا الازدواج اللغوي التهري يصدع الوحدة الاجتماعية للامة العربية ويفرقها طبقات ثقافية وعقلية (7) .

3) ويرى الاستاذ ساطع الحصري ان « **كل امة من الامم تحتاج الى لغة ((موحدة.)) تزيدها تجاوبا وتماسكا فتكون موحدة لان مهمة اللغة في الحياة الاجتماعية المعقدة الحالية لا تنحصر في ضمان التفاهم بين المتخاطبين الذين يعيشون في قرية واحدة ، او مدينة واحدة ، ولابين الذين ينسبون الى اقليم واحد ، او قطر واحد ، بل هي ضمان للتفاهم والتكاتف والتخاطب والتجاوب بين ابناء الامة على اختلاف مدنهم واقطارهم** » (8) .

وفيما يتعلق بموقفه من قضية الفصحى والعامية فيرى ان بحث الحدود الفاصلة بين الفصحى وبين العامية هو ضروري حتى تتبين الفروق التي تميز الاولى عن الثانية من حيث المفردات وكيفية لفظها من جهة ، ومن حيث التراكيب واسلوب ترتيبها من جهة اخرى . والابحاث اللغوية لا يجوز — حسب رايه — ان تبقى محصورة بين صحائف الكتب والمعاجم ، بل يجب ان تخرج الى ميادين الحياة الاجتماعية لتدرس وتسجل ما يلاحظ فيها بصورة واقعية(9). **وانطلاقا من المسلمة التالية وهي ان العامية**

---

5) **مستقبل الفصحى** : ص 111 و 112 .
6) **محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية** [القاهرة 1958] ص : 2 .
7) **نفس المرجع** . ص : 3 .
8) **آراء في اللغة والادب** : [بيروت — دار العلم للملايين 1957 م] ص : 42 .
9) **المرجع السابق** : ص 48 .

لاتشكل لغة مستقلة بالمعنى الاصطلاحي والعلمي لكلمة لغة لكنها تتفاعل مع اللغة الفصحى الام وبامكانها الاغتناء بها عن طريق رفع الامية والتثقيف الشعبي .

4) اما نشوء تلك الفروق الصوتية بين لهجات الاقطار العربية فقد ابتدأ خاصة بعد سقوط الدولة العباسية واستقلال الاقاليم العربية بعضها عن بعض فترك لهجات الكلام المحلية تنمو في الاقواه وتنتقل في صور جديدة الى الاجيال دون حد من هذا التطور المستقل . تلك هي — كما اكد **الاستاذ ابراهيم انيس — الحقيقة التي لا نستطيع ان نفر منها بل يجب ان نواجهها في شجاعة وان نفكر كيف نقرب بين هذه اللهجات** (10) ، لان اللغة هي دعائم التوفيق بين الافراد والشعوب وليس « **ابعث على نفور العربي من اخيه العربي من ان يسمعه ينطق الكلام نطقا يخالف نطقه** » . ان اللهجات المحلية التي تسير الآن على الالسنة في كل بيئة عربية ، هي العقبة الكبرى في النهوض باللغة الصحيحة . فما تصلحه المدرسة يفسده البيت او الشارع .

ويرى **الاستاذ ابراهيم انيس** انّ تدخل **السلطة التشريعية ضروري للقضاء على سلطات تلك اللهجات المحلية ، وذلك باصدار امر يحرم استعمالها في المجلات والصحف والاذاعة ودور الثقافة والمسارح .**

5) **اما محمود تيمور** فيقف من انصار العامية وانصار الفصحى في كتابه « **مشكلات اللغة العربية** » موقف التوفيق قائلا : « **فلندع هذا الصراع يدور سجالا بين شيعة العامية والمستمسكين بالفصحى ولننظر في كنه هذه اللغة التي كانت محور النزاع والصراع. الحق اننا بازاء لغة غير محدثة وما الفيت الفرق بينها وبين الفصحى ببعيد . هذه العامية اقدم من الفصحى عهدا ، واغرق منها الى العروبة نسبا. وفي مقدورنا، او اتيحت لنا كتابة العامية ، ان نقول باننا نكتب العربية ولامراء . لقد عاشت خصائص تلك العامية في العصور العربية الاولى ، اذ كانت لهجات لمختلف القبائل وانعشائر قد جرت عليها طبائع النشوء والارتقاء ، ومرت بها اطوار تنازع ابقاء . وعلى ترادف الايام الفينا هذه اللهجات المتخالفة تتجمع وتتخمر وتتخذ لها قالبا هو الذي يعرف بالفصحى . فكان هذا القالب صيغة مختارة ينطوي على النقاوة بين خصائص اللغة ، به نزل القرآن وفيه صب الشاعر والناثر روائع البيان** » (11) .

ولايزال هناك من اللغويين من يدعي ان العربية هي اغنى لغات العالم ، وانها خالية من جميع المشكلات ! ويرى بعض المفكرين انها صعبة المراس وانها لغة كتابة لالغة كلام ، وحجتهم في ذلك انها لو كانت لغة كلام لعاشت في البيت والسوق ، ولنمت من تلقاء نفسها ولاشتقت الفاظها من طبيعتها دون اللجوء الى عوامل مصنوعة !؟ ويرى البعض الآخر من دعاة العامية ان الفصحى تكتسب بالتلقين والدرس وان المتعلم يبذل في هذا الاكتساب جهدا كبيرا ، وان العامية اذا اتخذت لغة كتابة وتدوين لا تحتاج الى شيء من القوانين والضوابط التي تختص بها الفصحى !؟.

وهناك من يرى بان لغتنا العربية لا تصلح ان تكون اداة لمسايرة الحضارة المعاصرة وغير قابلة لتكوين المصطلحات العلمية التي يحتاج اليها الجيل الحاضر بحيث لا يمكن ان تضطلع بما نطلب منها للتعبير عن مقتضيات العلم والتكنولوجيا والصناعة !! .

فاللغة العربية عند هؤلاء ، عاجزة قاصرة عن كل ذلك وهي في عداد اللغات الميتة كاللاتينية! وعند هؤلاء يجب اتخاذ لغة تحل محل العربية ويرشحون لذلك احدى اللغات الاجنبية الحية كالفرنسية او الانجليزية ! ؟ الخ . او العامية ويعتقدون ان ما جرى على اللاتينية من القانون الطبيعي فسيجري على العربية حتما ! ؟.

---

10) **محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة** [القاهرة ، مطبعة الرسالة 1960] ص : 42 .
11) **مشكلات اللغة العربية** [المطبعة النموذجية : ص 1 . 1956] ص 188 .

الفصحى أم العامية : مشكلة قديمة ومعاصرة

1) حاول حفني ناصف منذ اكثر من ستين سنة ان يجسم الخسارة الاقتصادية التي يتحملها الوطن من جراء مشكلة الوضع اللغوي المزدوج وما تسببه من اهدار للطاقات والسنين . ويقول في هذا الصدد بمناسبة مؤتمر المستشرقين الدولي السابع الذي انعقد بفينا سنة 1886 م: **« ـ وترى الطفل يتعلم العامية في اقل من خمس سنين ، ولا يتعلم الفصحى في اقل من عشر ، والسبب في ذلك ظاهر وهو أنه في اول امره لا يسمع غير العامية ولا يتكلم بغيرها فهو اينما سار ، وحيثما ذهب ، مشتغل بها ، فترسخ في ذهنه رسوخ الفرنسية في اذهان اطفال الفرنسيين ، والانكليزية في اذهان اطفال الانكليز ، وليس الحال كذلك في ابان تعلمه لغة الكتابة ، ولو فرضنا صبيا نشأ في بلد يتكلم اهله العربية الفصحى بالسليقة ، وبعد سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لانعكس معه الحال، وتعلم الفصحى في اقل من عشر ، فليس في طبيعة اللسان العربي شيء من الصعوبة وانما هي طريقة التلقين وبيئة التعليم »** .. ويرى حفني ناصف ان **« الجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة كان يغني عنها خمس لو اقتصر المتعلم على احداها ويضيع على كل متعلم عشر سنين من عمره . فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجباريا فكم تخسر الامة كل سنة من اعمار افرادها وهي خسارة لا يمكن السكوت عليها »** .

لسنا نريد هنا ان نناقش هذا التقرير الناصفي المدعم بالارقام ولكن لا مفر من الاعتراف بانه يبرز ظاهرة غير سليمة في حياتنا اللغوية العربية وهي ناتجة حسب راي حفني ناصف من « بيئة التعليم وطريقة التلقين » .

2) ويعتبر **امين فكري احمد** من أوائل من دعا إلى التوحيد اللغوي على اساس اللغة الصحيحة . ففي مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن المنعقد في ستوكهولم « بالسويد » سنة 1889 ، قدم بحثا جادا بعنوان: **« نبذة في إبطال راي القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية في الكتب والكتابة »**.

ففي هذا البحث القيم ، فند القاضي **امين فكري احمد** ما ذهب اليه بعض رجال الاستشراق الاوربيين « من ان اللغة العربية المستعملة للتخاطب اليوم في البلاد التي يتكلم فيها باللسان العربي قد صارت في غاية البعد عن اللغة العربية الفصيحة الاصلية حتى صح ان تعد كل منها مستقلة عن الاخرى ، وان اللغة العامية وافية بحاجات اهلها في التفاهم ولهم ان يستعملوها في جميع انواع المعاني عالية ودانية ، علمية وادبية وصناعية وشرعية وسياسية . ولهم ان يستعملوها كتابة وتاليفا كما يستعملونها نطقا .. وان امل التقدم ضعيف ما دامت العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية، لغة القرآن كما في الوقت الحاضر ، بدل ان تتعلم اللغة العربية المستعملة لان نسبة اللغة العامية الى لغة القرآن كنسبة الايطالية الى اللغة اللاتينية والاغريقية الحديثة الى الاغريقية القديمة ، وان اللغة العربية اذا بقيت علومها وآدابها مختزنة في العبارات الفصيحة تصبح وكأنها لغة اخرى غير العربية ولا يصل آحاد الامة الى حاجاتهم من ذلك الا بعد ان يصرفوا الجزء الاهم من عمرهم في تحصيل اللغة » .

« فلو ان العلوم نقلت الى اللغة العامية (كذا)، وهي لغة الاب والام وجميع الخلطاء، يتعلمها الصبي ، كما يتعلم المشي والاكل والشرب ، لكان عنده من فضل الزمن ما يصرفه في تحصيل تلك العلوم وهو في اوائل الصباء ـ »

غيرة منه على الفصحى ، ناقش امين فكري هذه المزاعم نقاشا موضوعيا مفندا ما فيها من اخطاء واتيسة باطلة ، وبين ، عكس ما ذهب إليه المستشرقون من ان اللغة العامية او اللهجات العامية في الاقطار العربية **« لم تبعد عن الفصحى بعداً من شانه ان يجعل منها لغة مستقلة : فالمواد في رايه ، هي نفس المواد الا ما زاد عليها وهو قليل لا يلتفت إليه ولا يكون لغة مستقلة وكذلك كيفية وهيئة التراكيب في الجمل فهي ترجع الى طرائق التركيب في الكلام العربي الفصيح »**.

واشار ـ ايضا ـ الى « ان جميع افراد العامة يحفظون شيئا من القرآن يتلونه في صلواتهم ومنهم من يضم الى ذلك شيئا من الادعية وشيئا من الاحاديث النبوية يستشهد بها ثم هم ، كل يوم جمعة ، يتابعون الاستماع الى الخطبة

باللغة العربية الفصيحة وما من سامع منهم الا وتبدو عليه علامات الفهم ، كما يتجلى ذلك فى حركات بدنه ، وفى تقلص عضلات وجهه ..»

ومن المفيد ان نذكر أن **امين فكري احمد** اشار الى ان « **فساد النطق ليس من الامور التى يجب محوها بالمستحيلات وان الزمن الذي يلزم لتعلم اللهجات العامية وفنونها يكفى لتعلم اللغة العربية الصحيحة ، وذلك مع اضافة اننا نربح وحدة اللغة واتصال التراث** » . وانتهى بعد ذلك ، الى اقتراح مناهج للوصول الى التقريب بين اللهجات العربية وبين اللغة الفصيحة الصحيحة ، وذلك بتسهيل العلوم وقواعد اللغة على العامة وذلك بـ :

- ـ إصلاح لغة العامة بالتقويم ، وكتابة الكتب فى الآداب ومواد الثقافة العامة التى يجب تعميمها ونشرها بين افراد الامة باللغة الفصحى ، على شرط الا يخرج الكاتب عن المقررات المستعملة فى لغة العامة فيجمع فى تلك الكتب بين شيوع استعمال المفردات وصحتها من الناحية اللغوية .
- طرح ما دخل فى اللغة العامية من الالفاظ الاجنبية واستبدالها بما هو افضل منها من اللغة العربية. والافضل ان يبت فى هذه الامور بواسطة قرارات تصدر عن هيئة علمية سيدة او مجمع علمى يتالف من مشاهير العلماء وفقهاء اللغة العربية. ومن المؤكد ان اللفظ متى استعمل عند بعض القوم « سار » وشاع فى البقية وتمكن فى لغة الكافة كما نلاحظ ذلك فى لفظ « اللجنة » و « المؤتمر » فانهما ، قبل عشرين سنة ، اي قبل سنة 1870 م ، لم يكونا معروفين الا عند بعض اهل الاختصاص ثم صارا شائعين فى الصحافة شيوع الالفاظ الاخرى التى اصبحت مفاهيمها لا تخفى على احد . وهذا ينطبق على المفردات وكذلك على طرائق التراكيب والجمل ، فيجب ان تكون اقرب الى تاليف العامة على شرط البلاغة والصحة .
- ـ لمعالجة فساد النطق معالجة جذرية لا بد من نشر التعليم وتعميمه والزام الدارس للغة العربية بتقويم لسانه على النطق السليم ، وتصحيح الجمل والتراكيب عند الانشاء والكتابة ، وذلك من بداية التعليم الى منتهاه .
- ـ لربح الوقت وتوفير الطاقة لا بد من ضبط طرائق التدريس للغة العربية الصحيحة لان ضياع سنين طويلة من عمر الدارس دون جدوى راجع الى اعوجاج طرائق التدريس وعدم كفاءة المدرسين (12) .

3) وفى سنة 1908 اقام عدد من المفكرين ورجال العلم والادب ندوة فى « **نادي دار العلوم** » فى مصر وذلك بدعوة من رئيسه آنذاك الاستاذ **حفنى ناصف** لبحث **مشكلة التعريب** ، واتخاذ اسماء للمخترعات العلمية والحضارية الحديثة. وفى هذه الندوة التى دامت اسبوعين قدمت بحوث عديدة جادة تناول الكثير منها قضية **الفصحى والعامية** فتحدث **طنطاوي جوهري** عن اللهجة العامية عند المصريين وقال : بانها « **عربية صحيحة فى اغلب مفرداتها ، والمنحرف منها قليل . وكذلك الامر بالنسبة للالفاظ والكلمات الدخيلة . واورد بهذه المناسبة ، مائتين من الفاظ العامة التى يستنكف من استعمالها الكتاب والادباء زاعمين انها مبتذلة مع انها فى الواقع عربية فصيحة وصحيحة ، واستشهد على صحتها بكتب اللغة والقرآن والحديث واشعار العرب الموثوق بعربيتهم** » . وانتهى ، فى بحثه هذا ، الى اقتراح يرمى الى العمل على التوحيد اللغوي والقضاء على **مشكلة الازدواج اللغوي** ، وذلك « **برد الالفاظ الى اوضاعها الاصلية الفصيحة ، وادخال الاعراب على سبيل التدريج ، واصلاح المنحرف واستبدال الدخيل بقدر المستطاع** » . وقد بنى **طنطاوي جوهري** اقتراحه الآنف الذكر على اساس طائفة من المشاهدات والحقائق ، منها ان الدخيل فى العامية لا يبلغ خمسة فى المائة من

---

12) امين فكري : **إبطال راي القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية** [بحث قدمه الى مؤتمر المستشرقين الدولى الثامن ـ ستوكهولم 1889 م ، ونشره فى كتابه عن الرحلة الى المؤتمر : **ارشناد الالبا ، الى محاسن اوربا** ، مطبعة المقتطف . 1892 م] .

مجموع الفاظهـا ، ونفـس النسبـة للمحرف تحريفا ظاهرا ، وان اصول اللهجة العامية وما قاربها تبلغ خمسة آلاف كلمة على اقل تقدير ، وان كلا من الدخيل والمنحرف جعلنا نظن أن العامية كلها فاسدة . ونعتبر ، البليغ كل ما كان غريبا وان الفاظ اهل بلادنا (ويقصد المصريين)، قد وردت في القرآن والحديث وكلام العرب ... فهي لا تعتبر مبتذلة لا سيما وان الحاجة اليها ماسة والامة تتكلم بها . فمن العبث نبذهـا **« وان الفصيح والبليغ ما عرفه الناس الذيـن نخاطبهم ، اذ سبكته بنظم عجيب ، واسلـوب غير غريـب »** .

وكان مما اقترحه طنطاوي جوهري ، كوسيلة من وسائل التوحيد اللغوي، هو حل علمي لمشكلة الازدواج اللغوي (الفصحى ـ العاميـة) ويتلخص فيما يلي :

ـ استيعاب الالفاظ المستعملة في لغة التخاطب اليومية وجمعها في قاموس وذلك بعد ان ترد الى أوضاعها الفصيحة . وآنذاك يجب الا يقال عنها غريبة وعامية ، بل تكون كلـها عربيـة صحيحة، وينشر هذا القاموس بين الفئـات المتعلمة حتى تدخل ملكة اللغة بالتدريج ، فيكتفي به الناس في اعمالهم . ومن كان مختصا بفن ، زاد من اللغة ما شاء من اصطلاحه ، ويـجب على عالمي البلاغة واللغة ، ان يزيدا من اللغة العربية ما شاءا ان يزيدا . ويراعى في القاموس الذي ينشر الا يترك نباتا ولا حيوانا ولا غيرهما ولا صنفة من صفاتهما الا وصفه ورسمه . ويجب ادخال كلمات ذلك القاموس في محـاورات صغيرة لما يحيط بنا من الامور الخارجية حتى يعرف ابناؤنا احوال الحياة والتعبير عنها .

وقد كان **طنطاوي جوهري** مقتنعا جدا بصواب فكرته الى حد انه تنبأ بانه في صورة ما اذا شرع في تطبيق مشروعه وسارت خطواته على مـا رسم « فلن تمضي عشر سنين حتى تصير لغة الكلام لغة التحرير وتزول تلك الوصمة ويخرج جيل عالم وعالم باصول الحياة » (13)

وتعليقا على هذا المشروع قال كاتب معاصر وهو الاستاذ **محمد خلف الله احمد** : « يبـدو أن بعض علمائنا ، في العقد الاول من القـرن الحاضر ، كانوا مطمئنين الى ما أحرزته قضية الفصحى في العصر الحديث من تقدم،مؤمنيـن بانه يمكن تحقيق وحدة اللغة في الفكر والحياة متى سلكت له السبل التويـمـة الموصلـة لذلك» (14) .

سنتوقف ، عند هذا الحد وللبحث متابعة ـ متى تتاح لنا الفرصة لذلك .

---

13) بحوث ندوة دار العلوم بالقاهـرة 1908 : انظر خاصة بحث طنطاوي جوهري : اللغة المصرية العامية (المقتطف مجلد : 33، ج 4 ـ 1908)

14) **مستقبل الفصحى** ... بحث ذكر سابقا .